

خطاب صاحب الجلالة
بمناسبة تأسيس الحكومة الجديدة

Λ'

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

شعبي العزيز

ها نحن نتوجة إليك بالخطاب وفاء بما كنا وعدناك به يوم ثاني عيد الفطر، حتى نحيطك علماً بما جرى في هذه الأيام الأخيرة، وما أسفرت عنه الاستشارات التي أجريناها مع الهيآت السياسية أو بعض الشخصيات.

وبادىء ذي بدء علينا جميعا أن نلاحظ بارتياح عميق أننا نعيش حقا في ديمقراطية، إذا نحن جمعنا كل ما كتب، وكل ما نشر، منذ بدأنا في استشاراتنا الى يومنا هذا، وصلنا الى دلالة قاطعة هي أننا ولله الحمد نعيش في جو تام من الحرية، وفي جو تام من حرية التعبير خلافاً لما يشاع ويكتب ويقال.

وبعد هذه المقدمة، أريد شعبي العزيز أن أدخل معك في مقدمة أخرى، هي التي ستبين لك الأسباب والدوافع. التي جعلتنا دائما نسعى وراء الحصول على غايتنا المثلى، ألا وهي جمع أكثر ما يمكن من الكلمات للعمل المجدي البناء.

شعبي العزيز

في سنة 1947 في ذلك الخطاب التاريخي الذي كان قد اهتز له الاستعمار لا في المغرب فحسب، بل في إفريقيا والشرق والغرب، في ذلك الخطاب التاريخي الذي ألقاه والدنا المغفور له محمد الخامس كان قد صرح رحمة الله بأن أحسن نظام يمكن أن يعيش فيه المغرب هو نظام الملكية الدستورية. وجاءت كلماته هاته، وجاء إيمانه هذا ويقينه هذا مطابقا تمام المطابقة للطبيعة البشرية. وللأخلاق التي يتوفر عليها المغاربة، ولم يمر على ذلك الخطاب أكثر من بضع سنين حتى بدأنا نرى أن ما كان تنبأ به كان يطبق يوما بعد يوم في سلوك الشعب وجهاده، ذلك أن الملكية الدستورية — في عين والدي المرحوم وفي أعيننا نحن — هي التي تُمكن الجميع من التعبير الحر عن أفكاره في دائرة القانون الأسمى، ألا وهو الدستور، وتعطي للجميع الفرص حتى يمكن لكل واحد من المغاربة أن يمارس واجباته وحقوقه داخل ذلك الدستور وداخل ذلك القانون.

والملكية الدستورية توجب حتماً أحزاباً سياسية لا حزباً واحداً، ولكن أحزاباً سياسية متعددة وحركات نقابية متعددة، وكما قلت لكم جاء التاريخ ليبرهن على أن المغرب كله لا طائفة دون طائفة ولا حزباً دون حزب ولا حركة دون حركة أن المغرب كله نساء ورجالا شارك مشاركة فعالة ومباشرة في استرجاع محمد الخامس من منفاه واسترجاع الحرية والاستقلال للمغرب.

فحينما رجع الملك المظفر من منفاه الى وطنه لم يأت في عربة حزب ولا حركة معينة حتى يصير أسيراً لها وحتى يعطيها هكذا كهدية مقاليد الحكم ورقاب المغاربة يتحكمون فيها كما أرادوا، بل جاء يجرها المغاربة كلهم القرويون والمدنيون الساكنون في الجبال والساكنون في السهول.

ومن ثم صارت كلمة «الملكية الدستورية» التي كان محمد الخامس يحلم بها كنظام تجد من باب الحتمية تطبيقها على الحكم في المغرب، ذلك أن الملكية الدستورية يجب أن تكون للجميع ولخدمة الجميع لا وقفاً وحبساً

على هذا دون ذلك .

وحينما نادى رحمة الله بالملكية الدستورية كان وهو يفعل ذلك أعلم الناس وأعرفهم بحقيقة المغرب وتاريخه وطاقاته البشرية، فكان يعلم أن المغرب دولة واحدة موحدة، ولكن يعلم أن المغاربة لم يخضعوا ولن يخضعوا لأية ديكتاتورية كيفما كانت ومن أين أتت، كان يعلم أنه حتى فيما بين سكان الجبال هناك تناطح وحتى فيما بين سكان السهول هناك منافسات، وكان رحمه الله يريد أن يقي المغرب مغبة الفتنة والتفرقة والتشتيت والتجزئة، فنطق بكلمته التاريخية «إننا نريد أن نعيش في ظل ملكية دستورية» .

هذا الشيء هو الذي جعلناه في الدستور الأول وفي الدساتير التي تبعته، نمنع على أنفسنا الحزب الوحيد، وهذا ما أكدناه مرة أخرى أمام ضباطنا حينما اجتمعنا بهم.

وكان يمكن لأي ملاحظ من الملاحظين ذوي النية السيئة من الذين يسممون الجو بأقلامهم في الخارج، ولكن ينابيع أقلامهم في الداخل، كان في إمكانهم لو أنصتوا أن يسمعوا أكبر تناقض تاريخي يمكن أن يسمعوه، ذلك أن ملكاً شاباً يخاطب جيشاً شاباً وفتياً في دولة متخلفة يخاطبهم لا باليمينية ولا بالديكتاتورية ولا بالحزب الوحيد، ولا بتغليب طبقة على طبقة، بل يقنعهم أنهم قبل كل شيء مواطنون وآباء وأصحاب أسر. يقنعهم ملك شاب يقنع جيشاً شاباً في بلد متخلف على أنه لا محل للحزب الوحيد وللديكتاتورية في هذا البلد، لا يمينية ولارجعية.

فهذا هو الرهان الذي قررت أن أربحه وأن نربحه جميعا، رهان صعب، رهان ضد الشهوات، رهان ضد التحديات، ولكن مرماه وأهدافه هي قبل كل شيء أهداف أضمن للمستقبل من أية طريق أخرى من طرق الديكتاتورية أو الحزب الوحيد أو جعل الناس يحصرون المقاومة والوطنية في حزب ما أو في أشخاص ما .

فإذن الملكية الدستورية أصبحت عندنا ضرورة حيوية إذا أردنا أن نعيش في السلم .

أما المغاربة فأنا أعرفهم حق المعرفة وأفتخر بهم، إنهم ليسوا أكباشا، والله لو علموا أنني اسيرهم كما يسير بعض القادة شعوبهم كالأكباش لما أطاعوني. والله لو علموا أن شخصا أو هيأة سوف تسيطر عليهم لأخذوا أسلحتهم أو لاعتكفوا في المساجد أو لفروا الى الجبال حتى يبقوا كما كانوا دائما، شعباً حراً، فإذا اختار أطاع عن طواعية واقتناع، في دائرة العدل والقانون للجميع.

لذا قررنا أن نجري اتصالات مع الأحزاب السياسية، وحتى لايقال أي شيء وجهنا رسالة لكل حزب من الأحزاب وتوصلنا بالأجوبة، ولا نريد هنا أن ندخل في صميم النقد أو الاجابة على الأجوبة، فنحن تاركون للقارىء أولا وللتاريخ المقبل، القريب والبعيد، دور الحكم حتى يعلم أنها فرصة أخرى قد ضيعت، ولكن للوصول الى الغرض لا بد من أن تضيع فرص وفرص .

ومع هذا فأملي في الله، وفي شعبي، وفي من هم أطر لبعض الحركات السياسية وطيد وعظيم، ولي أمل أنهم يوماً ما سوف يلتحقون بالركب حتى يزيدوا قواتهم في قوات الجميع .

لا أريد أن أدخل في الجدل العقيم، لأن كل جدل فتح لنقاش الأجوبة سوف يكون عقيماً، لأن الدلائل والبراهين التي رأيناها وقرأناها في الأجوبة لا تدفع الى جدل عقيم، لأنها أو هي من بيوت العنكبوت، ولا أريد أن أحلل عنكبوتيتها الآن .

نعم الجميع يقول الحالة في المغرب خطيرة، ولكن ما هو الخطر المحدق ؟ وماهي أنواع الأخطار المحدقة بنا ؟ هي نوعان من الأخطار : النوع الأول إننا نضرب بيد من حديد على كل من يتجر في المخدرات ونذهب به إلى السجن حتى لايرجع ذلك بالسوء على الصحة البدنية للمواطنين، ولكن مع الأسف نترك المجال للمخدرات الفكرية، تلك التي تسيطر على الأدمغة والأفكار وتلعب دوراً يجعل من الرجل المتزن رجلا يضرب رأسه بين هذا الحائط وذاك الحائط، ويتساءل أين أنا ؟ وإلى أين أسير ؟ ومع من أسير ؟.

هذا هو الخطر الأول، التخدير الفكري، ولنتق الله فينا جميعا، لأن مغبة هذا التخدير سوف تذهب بالجميع وسوف لا تختار .

ولكن الخطر الثاني الذي لا نراه جميعا بمثل الاعتبار وبمثل الموازين والمقاييس هو أن البعض أراد الحكم للحكم، وأنا أريد أن يريد الناس الحكم للتجنيد وللمشاركة في البناء من جهة وفي تقويم ما اعوج من جهة.

فالخطر هو أن نبقى نتضارب بالاقوال والكتب والصحف والجرائد يوميا تاركين ظهرياً مشكلة البطالة، مشكلة التعليم، مشكلة الفلاحة، مشكلة الصناعة، مشكلة الدخل الفردي، مشكلة الدخل القومي .

فاذا نحن نظرنا الى هذه المشاكل ونظرنا إليها بعين المسؤول في جميع المستويات رأينا أنه يجب علينا أن نُشمر في الحين على سواعد الجد .

هل تعلمون أن عندنا الآن بطالة قارة تقدر ب 350 ألف نسمة، وأن أكثر من 56 في المئة من البطاليين سنهم ما بين 15 و 24 سنة ؟

هل نعلم أن التعليم لا يجيب في هيكله الى حاجيات البلاد، من أطر متوسطة وعليا، فانخفض المستوى، وإذا انخفض مستوى التعليم انخفض المستوى الوطني .

هل تعلمون، أن شبابنا لا يجد بين المدرسة والدار، أو بين الكلية والبيت، متسعاً للتعرف على ما يكتب وما ينشر، وللتعرف على أحدث الأساليب والوسائل التربوية، لا يمكنه أن يتصل بالخارج، وذلك للتبادل الثقافي، ولا يمكنه حتى من الناحية الرياضية أن يلعب دوره بين الشباب الافريقي أو بين شباب البحر الأبيض المتوسط .

هل نعلم أن الفلاحة التي تكون 80 في المئة من ثروتنا ما زالت محتاجة الى تشغيل أكثر ما يمكن من اليد العاملة تشغيلا يضمن لها أجورا تجعلها تكون السوق الداخلية للصناعات المغربية .

هل تعلمون أن بوناً شاسعاً يوجد بين من يملك آلاف الهكتارات ومن لا يملك هكتاراً واحداً ؟.

هل تعلمون أن لدراسة هذا المشكل وتوزيع الأرض توزيعا يجيب الى الانتاج من جهة، ويجيب من جهة أخرى الى عدم توزيع الفقر أو إفقار طبقة كبيرة يجب أن نكرس له جهودنا .

يجب أن لا نضيع في هذا قواتنا وطاقاتنا، يجب أن يجلس البعض أمام البعض حتى نجد الحلول، والحلول ليست سهلة.

هل تعلمون أننا كلنا ننادي بالتعاونيات الفلاحية ؟

وهل تعلمون ما تتطلب التعاونيات الفلاحية من تدريب ومن تحويل في الأفكار وفي عادات الفلاحين ؟

هل تعلمون أن الضرائب الفلاحية ليست كما كنا نريد وأننا نحن نريد أن نجعلها أكثر تعادلية ؟

هل تعلمون أن الصناعة وتطورها يجب أن يكون نحو ثلاثة أهداف ؟

خلق أكثر ما يمكن من التصنيع، حتى لا يبقى شبابنا في الطريق ضائعا تائهاً هائماً .

علينا أن نشجع الصناعات الداخلية وأن نخلق اليد العاملة .

علينا أن نشرع في مغربة أكثر ما يمكن من القطاعات الصناعية والتجارية إما في رأس المال، وإما في الأطر العاملة بها، وإما في اليد العاملة نفسها .

علينا أن نفكر في كيفية إشراك العمال في الأرباح، في تلك الصناعات وتلك التجارات الصناعية إشراكاً لا يضر من جهة بالمصنع، ولكن من جهة أخرى يرفه على العامل حتى يجعله يشعر بأن ذلك المعمل أو ذلك المشروع هو مشروعه ومعمله، فيسهر عليه ويسهر على تمشي الأمور فيه على أحسن ما يرام.

هل تعلم أن هذه المشاكل التي تطرحها عليك شعبي العزيز الدول النامية لم تجد الى الآن الحلول الناجعة لها ولاسيما نحن .

فأوروبا مازالت تبحث عن نفسها في الميدان الفلاحي وفي الميدان الصناعي والتجاري، وأمريكا تتخبط الآن هي والدول الاقتصادية الكبرى في المشاكل النقدية، والدول الاشتراكية هي التي عرفت المشكل الفلاحي والاصلاح الزراعي فركبت التجربة الأولى والثانية والثالثة، وهي تقوم كل يوم الاعوجاج وترد السفينة تارة الى اليمين وتارة الى اليسار .

فإذا كانت هذه الدول التي لا تستعمل إلا «الأورديناتور» العقل الاليكتروني إذا كانت هذه الدول التي يتوفر فيها المهندسون والاقتصاديون والاختصاصيون في جميع الميادين لم تصل بعد الى ما تصبوه إليه فهل ياترى لنا الحق أن نضيع الوقت فيما أسميته بالجدل العقيم ؟.

نعم هذا كله لا يتأتى إلا في جو — لا أقول الجو السياسي — السياسية والديموقراطية والبرلمان وتعدد الأحزاب. هذا يقتضي الأخذ والرد، كل هذا يحتم علينا أن نسمع كلام الغير، ولكن يحتم على الغير أن يسمع كلامنا، وأن نجلس للمذاكرة البناءة لا للتذاكر للنشر فقط، ولنشر الأكاذيب والديماكوجية، لا يمكن لكل هذا أن يتأتى إلا في جو يسوده العدل، ذلك أن العدل هو أساس كل عمران، ولطالما كنا نحث ومازلنا نحث الجهاز القضائي على القيام بواجبه أحسن ما يكون القيام، حتى يمكن لكل مغربي مغربي أن يعلم ما له وما عليه، وأن يعلم أنه إذا فاته الحظ في معاملة تجارية أو في امتحان كيفما كان، فلا يمكن أن يفوت حقه أمام المحكمة لحظه، إذ أمام المحكمة لا محظوظ ولا غير محظوظ لا يوجد الا من له الحق ومن عليه الحق .

بالطبع هذا يقتضي كذلك إدارة سريعة جريئة تطوي المراحل تنظر في أعماقها حتى يمكنها أن تساير العصر وأن تحرق مرة واحدة ماورثته عن الحماية من آلاف الأطنان من التشريعات التي لا تلائم المغرب المستقل ولا تلائم الهيكل الاداري والهيكل السياسي الذي نريد أن ينبني عليه مغرب الغد .

لهذا شعبي العزيز أردت أن أضع أمامك المشاكل الحقيقية .

نعم: لكل قائل أن يقول: لو أعطي لي الحكم لقمت بهذا أحسن قيام، ولكن على أي أساس سأعطيك

الحكم يا فلان ؟ وعلى أي أساس يمكنك أن تطبق تحت رعايتنا ومسؤوليتنا برنامجك الفلاحي أو الصناعي أو الاجتماعي دون مشاركة الشعب المغربي ؟ كلا، لا يمكنني أن أفوت، لايمكنني أبداً ولا بأي حال من الأحوال أن أفوت السيادة المغربية، والسيادة المغربية نوعان : السيادة الداخلية والسيادة الخارجية، السيادة الداخلية هي احترام كلمة الشعب واختيار الشعب، إذا أردت يا فلان أو يافلان أن تطبق برنامجك أقول لك مرحبا وأهلا. ولكن بعد أن نكون أولا اتفقنا، وفي مدة انتقالية لا يمكن الا تهيء الخطط ووضع معالم الطريق لهذا الاصلاح دون بت ودون اختيار لا رجعة فيه، وبعد الانتخابات يمكن لكل واحد منا أن يقتنع الاقتناع الحقيقي بأن الحركة الفلانية أو الزعيم الفلاني أو السيد الفلاني أو الهيأة الفلانية تمثل حقيقة رغبات الشعب، ذلك أن الشعب أراد أن يطبق برنامجها من الناحية الصناعية أو الفلاحية أو التعليمية أو الادارية .

لذا قررنا أن حكومتنا سوف تسهر قبل كل شيء على تطوير الادارة وتجعلها مرنة في متناول الجميع حتى نستجيب الى ضرورة السرعة التي نحن في رهان معها، ورهاننا مع السرعة هو رهان سوف يقضي إما على التخلف وإما يقضي على المغرب، فموضوع الرهان موضوع خطير، إذ هو رهان مصيري بالنسبة للسرعة والتنفيذ والانجاز بين إدارة من جهة وبين تفسيراتنا وتخمينات ومشاريع وتخطيطات، فعلينا إذن أن نراجع السلم الاداري والهيكل الاداري وأن نجعله سهلا سريعا متقناً دون ثغرات من جهة، وعلينا أن تهيء الجو لاجراء انتخابات نزيهة، وأكرر نزيهة، لأنني أريد أن أتعامل مع المرآة الحقيقية للبلاد .

وهل أنا إلا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

فلا أريد أن أسير أنا في واد وشعبي في واد، لذا أريد انتخابات نزيهة تبين للجميع ولي شخصيا ما هو الاتجاه ومن هم الربابنة الذين علي أن يصحبوني فوق السفينة لسير السفينة، لذا علينا أن تهيء الجو وتهيء النصوص التشريعية حتى نشرع في انتخاباتنا .

وأقول هنا وأصرح بها علناً انني منذ اليوم الى يوم الاقتراع الأول أترك عدة كراسي شاغرة من مناصب وزراء الدولة لكل من أراد في أي وقت أراد أن يلتحق بالركب دون أن يتحمل أية مسؤولية في التسيير اللهم إلا أن يتحمل المسؤولية بأن تسير العمليات الانتخابية بنزاهة، وذلك للسهر على الاقتراع وعلى القانون الانتخابي وعلى التقطيع الانتخابي وعلى كل ما يتعلق بالانتخابات .

فإنني أعتقد أن تشكيلتي الوزارية قد تمت، ولكن تشكيلتي السياسية مازالت قابلة لأن تأخذ في ركبها كل ذي نية حسنة أراد أن يساير ويراقب ويتذاكر ويتناقش لا في موضوع التسيير ولا في موضوع الصناعة ولا في موضوع الفلاحة حتى لايتحمل المسؤولية مع الباقين، ولكن أن يكون له اهتمام بمهمة خاصة ألا وهي السهر على خلق الجو والسهر على وضع القوانين والسهر على التقطيع الانتخابي والسهر على إجراء الانتخابات بكيفية نزيهة .

هذه شعبي العزيز هي الأفكار التي كنت أريد أن أقولها أمامك، وأن أوضحها لك، وأنت في غنى عن شرح أطول، أو كلام لا يمكن إلا أن يوصف بالإطناب فيما إذا زدت فيه، فإنك شعب ذكي تقرأ فيما بين السطور، ولي اليقين أنك أدركت كنه جهادنا وأدركت الحالة التي نعيش فيها، ولربما تقول في بيتك اللهم هذا منكر، الأخطار التي سطرها أمامنا الملك موجودة على الأبواب، بل منها ما دخل، ومازال الناس يتجادلون

ويترامون ويصيحون : إن من أهداف كل حركة سياسية أن تأخذ الحكم، وفي القرن العشرين لا يمكن لأي حركة سياسية كيفما كانت ان تسيطر على مجموع بلد ما كيف ما كان عدد سكانه، فحتى في البلاد الاشتراكية يكون عدد السكان مئات الملايين ولا يتجاوز أعضاء الحزب الوحيد 15 مليون نسمة أمام 200 مليون من السكان .

فالأحزاب السياسية اليوم عليها أن تتطور، وتجعل من نفسها أطراً ومعلمين وهادين ومرشدين ورواداً حتى يمكنهم أن يشقوا الطريق وأن يسدوا الفراغ وأن يكونوا أطراً أماماً وخلفاً يميناً وشمالاً، هم الدرع وهم الحصن للشعب، للمثل العليا، للأخلاق، للنزاهة للفضيلة القانونية والدستورية .

وأملي فيهم أن يجدوا الشجاعة الكافية حتى يقنعوا أنفسهم وهم مقتنعون أنني على صواب، ولكن يهمني أن شعبي يعلم هذا ويفهم هذا، وأنني لأعدك شعبي العزيز أن الأيام المقبلة سوف ترى من الاجراءات الادارية والسياسية ما يثلج صدرك ويبرهن لك على أن الحكم ليس في عزلة كما يدعون، وعلى أن الحكم له أطره وله من سيخلف أطره الحالية، وله مدارس للتكوين السياسي في جميع مستويات الدولة إدارية كانت أو غير إدارية .

وأملي في الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا اليوم فاتحة عهد جديد، وأن يتيح لنا الفرص لجني ثمار عملنا ثمرة تلو الأخرى .

ونسأل الله التوفيق لهذه الحكومة الجديدة التي يرأسها خديمنا الأرضى وصديقنا ومحبنا السيد أحمد عصمان، الذي توخينا فيه جميع ما يمكن أن يتحلى به الوزير الأول الذي عليه أن يضطلع بمهمة كهاته في ظروف كهذه.

أما مجموعة الحكومة فكما تراها شعبي العزيز هي مجموعة لم نجمعها حولنا إلا على أساس النزاهة والاستقامة والتعلق بالمغرب بمعنى المغرب بخريطة المغرب كواقع وبتاريخ المغرب كينبوع، وبمستقبل المغرب كأمل ومنطلق.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهبنا عونه، ويمدنا بنصره، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الأحد 13 شوال 1392 ــ 19 نونبر 1972